تفريغ محاضرة

تأهّب

رواء الاثنين | د.هند القحطاني

٤ /٨/١٤٤٣هـ

" تأهب "

بسم الله الرحمن الرحيم

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله.

فنحمد الله حمد الشاكرين و حمد الذاكرين، وله الحمد ملء السموات وملء الأرض، وملء أي شيء بعد و ملء ما شاء من شيء بعد، أهل الثناء والمجد أحق ما قال العبد وكلنا له عبد، نحمد الله عز وجل على العودة ونحمد الله عز وجل على أن يسر لنا أن نعيش هذا البلاء وهذا الوباء، وأن نعيش انجلاءه و انقشاعه، فلله الحمد في الأولى ولله الحمد في الآخرة.

في ٢١/ ٦/ ١٤٤١هـ قبل سنتين تحديدًا كان عندنا درس اسمه ستنجلي، وكان الدرس بالذات تيمنًا وتفاؤلًا وإحسان ظن بالله أن هذا الحال سيكون له أمد وأن الله سيكتب له الانتهاء، وكان هذا العنوان تحديدًا من أبيات تقول:

ستنجلي بل لا أقول لعلها *** ويحِلُّهامنكانيملُكعقدها

إنّ الأُمور إذا التوت وتعقدت *** نزلالقضاءمنالإلهفحلها

إذًا، الله -عز وجل- هو الذي قضى وفرَّج عنّا هذا الكرب، فلله الحمد في الأولى ولله الحمد في الآخرة، ولذلك نسأل الله -عز وجل- أن يغفر وأن يرحم كل من فقدنا من الأحباب في الفترة الماضية، ونسأل الله أن يُبدلهم دارًا خيرًا من دارهم، وأهلًا خيرًا من أهلهم، ونسأل الله أن يكونوا في أعالي الفردوس في الجنات فرحين مستبشرين بما آتاهم الله -عز وجل- من فضله وأن يكون ما أصابهم تكفيرًا لهم لسيئاتهم ورفعة لهم لدرجاتهم وتعظيمًا لأجورهم، ونسأل الله لنا ولمن بقي وكل من أمدّ الله -عز وجل- في عمره وأعطاه فسحةً من العمر ليقضيماتبقى، فنسأل الله -عز وجل- أن يرزقنا شكر نعمته وأن يرزقنا الحمد له والاعتراف بهذه المنّة وأن يجعل ما أمدنا الله به من عمرٍ يكون امتدادًا لطاعته في صحة وعافية.

ولعل من رحمة الله - عز وجل - أن تكون هذه بوادر الانفراج مع شهر التأهب، ولذلك نحن نعرف أن شهر شعبان ليس شهرًا عاديًا بل هو شهر التأهب، ولذلك أن يكون هذا الانفراج سواء في القيود أو في الإجراءات مع بداية هذا الشهر الكريم الذي نتأهب فيه لشهر رمضان هذا من رحمة الله - عز وجل - بنا وهو إمعانٌ في الشعور

بالمنّة والاعتراف بفضل الله – عز وجل - أن بلّغنا شعبان وأن بلغنا هذا الانتهاء وهذا الفرج ونسأل الله أن يتمّه إلى أن ينتهي كاملاً، فلله الحمد كما يُحب ربنا ويرضى.

إذًا حديثنا الآن عن شهر التأهب وهذا الشهر بالذات الذي نتحدث عنه كل شيء فيه كل ساعة من ساعاته كل ليلة من لياليه تصرخ فينا: أن تأهّب. وتأهب لأن دونك شهرٌ عظيم، وشهر رمضان الذي بدأنا الآن نستنشق رائحته وهبوبه وهذه الرياح التي تحمل بركاته ورحماته، هذا الشعور الذي يأتينا هو نسمة من النسمات وهو لم يدخل بعد، فكيف تكون استعداداتنا له.

في دروس كثيرة ومن يحضر معنا دائمًا يعرف أنه عندما نتحدث عن شهر شعبان فنحن نشبّهه بمثل الزائر الذي يأتي، فإذا جاءك الزائر وكان بيتك مُتّسخ والأطفال قد عبثوا به، وهناك بقعة موجودة في الأرض، هل يكفي أن تقوم بإشعال شمعة ووضع وردة؟ أم يجب أن تقوم بتنظيفه؟! لأنك بمجرد أن تقوم بتعطير البيت أو وضع شمعة ووردة هذا لا يكفي أن يزيل الاتساخ الموجود فيه من قبل، لذلك كل دروسنا السابقة هي عبارة عن دروس التخلية قبل التحلية! فكل الدروس الماضية كانت تركز على هذا الجانب جانب التطهير والتنظيف، ولذلك حتى لو رجعت لها حتى لو رجعت لواجباتنا التي اتفقنا عليها في قضية تنظيف وتطهير القلب استعدادًا لهذا الشهر قبل رمضان بماذا نريد أن نستعد له؟

يقول ابن رجب -رحمه الله-: **ولمّا كان شعبان كالمقدمة لرمضان شُرع فيه ما يُشرع في رمضان من الصيام وقراءة القرآن ليحصل التأهب لتلقي رمضان و ترتاض النفوس في ذلك على طاعة الرحمن**.

لاحظوا كلمته "**ليحصل التأهب**" نحن الآن في هذا الشهر بالذات مقدمة رمضان كأننا نقوم بأداء السنة القبلية قبل صلاة الفرض، أرأيتم عندما نصلي أربع ركعات قبل صلاة الظهر وكأنها فرض؟ ولاحظوا دائمًا السنن القبلية لها أجور خاصة لذلك «رَحِمَ اللَّهُ امْرَأً صَلَّى قَبْلَ العَصْرِ أَرْبَعًا» [أخرجه الترمذي في سننه ،وقال الألباني: حسن]، صلاة الظهر بالذات سننها أربعة قبلها وأربعة بعدها، من فعلها حرَّم الله -عز وجل- وجهه عن النار . فتخيلوا إذًا أن مجرد هذه السنن القبلية غير السنن الرواتب الثانية التي من صلاها «بَنَى اللهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ»[أخرجهمسلم،صحيح]. السنن القبلية بالذات لها أجور خاصة، فإذا كانت هذه مثل الفرض إذًا نحن نتحدث الآن عن شعبان أنه مثل السُنة القبلية لرمضان، إذًا نحن لسنا في شهر عادي، فدعونا الآن نتذاكر ماذا نفعل في هذا الشهر؟

عندما نتحدث عن سياق المنّة والنعمة فنحن بمجرد أن نبلغ هذا الشهر فهذا فيه تمام المنّة، وليس استحقاقًا لنا، وليس نَسَبًا ولا حسبًا بيننا وبين الله -عز وجل- أن يمد في أعمارنا وأن يُفسح لنافيأعماركانممكنًا أن تذهب في طرفة عين، لكن الله أمد في عمري وعمرك وهذه تحتاج منّا إلى شكر عظيم ولو أفنينا ما تبقى من العمر شكرًا لله -عز وجل- أنّ يمد في حياتنا إلى أن نسبحه ونذكره ونسجد له لكان ذلك قليل.

يقول سلّام ابن سليم: **كن لنعمة الله في دينك أشكر منك لنعمة الله في دنياك**. لأن الله -عز وجل- يُعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب، لكن الدين لا يعطيه إلاّ من يُحب، فلمّا الله -عز وجل- يُبلغك هذا الموسم ويبلغك موسم رمضان ويبلغك موسم الاستعداد و موسم التأهب الذي الآن ندخل فيه اليوم، إذًا هي نعمة من الله -عز وجل- لنا فلنري الله -عز وجل- منّا ما يُحب.

قال السلف: ما قال عبدٌ الحمدلله إلاّ وجبت له جزاء تلك النعمة من الجزاء ما أن يحمد الله -عز وجل- عليه، فلا ينفك هو بين نعم الله والحمدلله. فكل نعمة يُنعمها الله -عز وجل- علينا فنقول: الحمدلله، يا رب لك الحمد والشكر، يارب نحمدك حمد الشاكرين حمد الذاكرين، هذا التحميد الذي أنت تحمده هو بنفسه نعمة وفقك الله لها، لأن هناك أناس تكفر النعمة وتستبطر النعمة، وهناك أناس تظن أنه استحقاق لنفسها وأنه يجب أن أعيش الحمدلله وأنا بصحة وعافية، صحتي كاملة، وحتى لو أُصِبتُ بشيء فلن يحدث لي شيء، هناك أناس يظنون أن الموضوع عبارة عن استحقاق.

الإمام أحمد كان إذا أنزل الدلو في الماء وأخذ يجرّه وخرج منه الماء حمد الله -عز وجل-، وهذه ليست مرة واحدة، كي يستقون من البئر يجب أن ينزلوا الدلو أكثر من مرة، وهو في كل مرة يحمد الله -عز وجل-، فقال له ابنه صالح: يا أبتِ علام الحمد؟ فقال له الإمام أحمد: ألم تقرأ قول الله -عز وجل-: (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاءٍ مَّعِينٍ).(الملك:٣٠).

فتخيلوا أن الله يمتن علينا بهذا الماء، فلو أصبح في باطن الأرض من الذي سيرزقنا بالماء؟ ماذا لو جفت المياه؟

إذًا هذا على نعمة يومية فكيف بهذه النعم التي نستشرفها بهذا الشهر؟

ولذلك من أجل أن نعرف عِظَم هذا الشهر الذي سندخل فيه شهر الاستعداد، تخيلوا لو أنه لم تكن هناك مواسمٌ للخير ومواسم للطاعات؟ وتخيلوا أنه لا توجد مواسم مُضاعفة يُضاعف فيها العمل؟! لو لم تكن هناك ليلة القدر؟ ولا العشر الأواخر؟ ولا عشرة ذي الحجة؟ ولا غيرها من هذه المواسم التي من يعبد الله -عز وجل- في ساعة منها كأنه عبده سنتين؟ من قام تلك الليلة كأنه قام ٨٦ سنة وهكذا ألف شهر، تخيلوا لو لم تكن تلك المواسم موجودة ثم أتينا نحن بثلاثين سنة عشناها أو أربعين سنة؟ تخيلوا لو كانت حياتنا عبارة عن أربعين أو خمسين فقط؟

لذلك آدم -عليه السلام- لمّا سأل عن الأعمار فعرف أن في أمته من بني آدم من سيأتي من بعد ذلك وهم لا يعيشون إلا ستين أو سبعين سنة، نحن الآن نعتبر الذي يعيش سبعين سنة كبير بالسن، فلمّا عرف استصغر آدم -عليه السلام- لأننا نعرف أن الأمم من بعد آدم نوح مثلًا كم جلس؟ ألف سنة، تسعمئة وتسعين عامًا يدعوهم، فتخيلوا عندما نقول عاش ألف يعني عاش عشرة قرون، فماذا تكون أربعين سنة؟ هذه ليس حتى مرحلة الطفولة المبكرة، فعندما نتخيل أن هذه الأقوام عبدت الله -عز وجل- ألف سنة أو تسعمئة أو سبعمئة سنة، ثم نأتي نحن أمة محمد -

صلى الله عليه وسلم- لا نعيش سوى ستين أو سبعين سنة، فأي عمل سيرفعنا؟ إذًا هذه من نعم الله -عز وجل- التي أنعم بها علينا بمواسم الخيرات.

دعونا نبدأ كما نبدأ دائمًا بسنة النبي -عليه الصلاة والسلام-، وقلنا أنه من قواعد السير إلى الله -عز وجل- أنك تتأكد من واجب الوقت، فنعرف ما هو الواجب الذي يجب أن أفعله في هذا الزمن، ويمكن من حضر معنا من قبل يعرف أني دائمًا أقول: في كل بداية شهر وكل بداية سنة جميل أن نراجع كتاب "لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف"، هذا الكتاب عندما تعرفت عليه قبل سنوات كان موجودا على مكتبي، كلما دخل شهر أفتح هذا الكتاب وأقرأ وظائفه، وظائف شهر الله المحرم، وظائف شهر شعبان، وظائف شهر رجب، يعطيك كل الأشياء التي من المفترض أن تفعلها والأحاديث الفضلى التي جاءت في هذا الشهر، وأيضًا يعطيك البدع الموجودة، كصلاة الرغائب مثلًا ، أو قيام ليلة النصف من شعبان أو تخصيصها لوحدها بصوم أو عبادة هذه كلها من أنواع البدع المحدثة التي أحدثها الناس، فعندما تعرف ما هو واجب الوقت، دخلنا الآن على موسم شعبان مثلًا، فجميل أن نتابع ونقرأ ما الذي يجب علينا أن نفعله في هذا الموسم.

نبدأ بأول حديث:حَدَّثَنِي أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَمْ أَرَكَ تَصُومُ شَهْرًا مِنَ الشُّهُورِ مَا تَصُومُ مِنْ شَعْبَانَ، ... " [أخرجه النسائي في سننه، وقال الألباني: حسن]

والصحابة لم يكونوا يتركون شيئًا للنبي -عليه الصلاة والسلام- يذهب سدى، إنما كانوا يسألون لأنهم حريصون على الخير. فقال النبي عليه الصلاة والسلام: «ذَلِكَ شَهْرٌ يَغْفُلُ النَّاسُ عَنْهُ بَيْنَ رَجَبٍ وَرَمَضَانَ، وَهُوَ شَهْرٌ تُرْفَعُ فِيهِ الْأَعْمَالُ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَأُحِبُّ أَنْ يُرْفَعَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ [أخرجه النسائي في سننه، وقال الألباني: حسن]

هذا الحديث هو أصل في هذا الباب، ممكن في كل مرة يأتي فيها شعبان نعرج على هذا الحديث لأننا لا نخرج عن سنة النبي -عليه الصلاة والسلام- وعلى الاستهداء بهديه، ففي كل مرة تزحمنا الدنيا نرجع إلى ماذا كان يفعل النبي -عليه الصلاة والسلام-،

إذًا لاحظوا معي الآن أن أول سبب أنه شهر يغفل عنه الناس، وعندما نقول يغفل عنه الناس إذًا **أي عبادة تحصل في وقت الغفلة فهي بمكان عند الله -عز وجل- ولها أجر عظيم**، فالوقت الذي يغفل عنه الناس في زحام الدوامات في زحام امتحانات أو زحام بداية إجازة كما في سنوات ماضية، يأتي شعبان دائمًا كأنه ضائع، تشعر أن الناس ما بين استعداد لرمضان يجهزون أشياء وبيوتهم وأمورهم ويحاولون أن ينتهوا منها قبل رمضان، وشعبان هذا يغفل عنه الناس، ورجب لأنه شهر الله المحرم، إذًا عندما نقول أنه شهر يغفل عنه الناس، العبادة في هذا الوقت لها مزية ويمكن تحدثنا عنها في دروس سابقة، لكن أنا فقط أريد أن أذكر لكم نقطة واحدة ويمكن إذا تذكرون ذكرنا لابن رجب يمكن أكثر من أربعة أو خمسة أسباب للأجور العظيمة لمن يتعبد الله -عز وجل-

في وقت الغفلة ممكن أن تراجعوها، لكن سأعود إلى حديث واحد هذا الحديث يقول النبي -عليه الصلاة والسلام- فيه: عبادة في الهرج كهجرة إلي.

تعرفون ماذا يعني الهرج؟ الهرج يعني الفوضى يعني الناس لا تعرف إن أصبحت كيف ستمسي وإن أمست كيف ستصبح، والوضع لا يوجد فيه روتين عادي، فمثلًا من الأحداث التي نعيشها تخيلوا معي لو أن هناك رجلا مسلما مثلًا في وسط أوكرانيا، الآن في وسط الحدث وما بين قصف وهرب وما بين لاجئين والوضع عندهم غير مطمئن لا في مواصلات ولا في مدارس ولا في شيء، وأنت لا تعرف أصلًا ستموت أو ستعيش، تخيل لو أن شخصا ما على الحدود له عشر ساعات لا يدري هو سيدخل أو لن يدخل، ويجلس يتسنن ويصلي الضحى، أو عرف أن الآن شعبان فصار يصوم وهو أصلًا لم يأكل من أمس، هذه العبادة في أوقات الهرج وفي أوقات الغفلة هي عند الله -عز وجل- بمكان، ولذلك لا تنتظر الظروف تكون أحسن لا تنتظر أن تتغير وظيفتك أو يتغير جدول حياتك كي تستطيع أن تتعبد الله -عز وجل-، لا، هي ظروفك بكل الذي أنت فيه، كل التفاصيل التي تعيشها هي التي يحب الله -عز وجل- أن تتعبده فيها، ولذلك قال النبي عليه الصلاة والسلام: «ذَلِكَ شَهْرٌ يَغْفُلُ النَّاسُ عَنْهُ ...» [أخرجه النسائي في سننه، وقال الألباني: حسن]

ولذلك قال الحسن: لَا يَجْعَلُ اللهُ عَبْدًا أَسْرَعَ إِلَيْهِ كَعَبْدٍ أَبْطَأَ عَنْهُ [ذكره ابن المبارك في كتاب الجهاد]

فقد يكون هناك إنسان غافل لا يدري عن رمضان ولا شعبان، يقول له الناس طلع الهلال فينتبه للتو، فهذا ليس كالإنسان الآخر الذي استعد من فترة، و فترة ليست بقليلة، يمكن أن يكون بدأ يستعد من رجب أو حتى قبل رجب وهو يسأل الله -عز وجل- أن يبلغه بلاغ توفيق وقبول وعتق من النار، ليس بلاغ الأجساد فقط، ليس أن يمتنع عن الطعام والشراب فقط، هذا كل الناس تقوم به، ولكن من الذي يوفق أن يبلغه بلاغ سداد وقبول وتوفيق وعتق من النار هنا هو الفلاح والنجاح، ولذلك العبد الذي يسرع إلى الله -عز وجل- ليس مثل العبد الذي يبطئ، ولذلك قال الله -عز وجل-:(وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ)(الحجر:٢٤)، المستقدمين، لم يقُل المتقدمين ولم يقُل المتأخرين، تذكرون عندما أخذنا تفسير هذه الآية؟ الميم والسين في هذه الآية يعني فعل الاستقدام هو يتقدم ويسابق فهو أصلًا لا يرضى أنه يتأخر عن الطريق إلى الله -عز وجل-.

قال النبي عليه الصلاة والسلام "... شَهْرٌ تُرْفَعُ فِيهِ الْأَعْمَالُ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ...."[أخرجه النسائي في سننه ، وقال الألباني: حسن]

متى ترفع الأعمال؟ أمس؟ أو أول ليلة من شعبان؟ أو اليوم؟ أو غدًا؟ هل تُرفع أعمالنا بشكل جماعي أم فُرادى؟ أم كل عائلة لوحدها؟

لا نعرف، هذا لا يهم، الذي يهم هو أن هذا الشهر هو كشف الحساب، وأن هذا الشهر تُرفع فيه الأعمال كلها إلى الله -عز وجل- الرفع السنوي، ولذلك تذكرون عندما كنا نأخذ أنواع الرفع وقلنا الأعمال ترفع يوميًا في العصر وفي المغرب، تتعاقب فيكم الملائكة، وعندنا رفع أسبوعي في يومي الإثنين والخميس، ولذلك

النبي -عليه الصلاة والسلام- يصوم الإثنين والخميس، وعندنا كذلك الرفع السنوي ترفع فيه الأعمال دواوين السنة بأكملها، تُرفع في هذا الشهر إلى الله -عز وجل-

فقال النبي عليه الصلاة والسلام: "...فَأُحِبُّ أَنْ يُرْفَعَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ..." [أخرجه النسائي في سننه ، وقال الألباني: حسن]

فالنبي -عليه الصلاة والسلام- يعرف أن هذا وقت العرض، فلو صار مني تقصير أو تفريط هذا وهو رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وهو الرحمة المهداة، وهو بدر التمام، ومع ذلك يقول وأحب أن يعرض عملي وأنا صائم، يعني لو نظر الله إلي قد نظر في صحيفتي إلى شيء، على الأقل أكون صائمًا، كأني أستدر رحمة الله -عز وجل- و أطلب منه التوبة والغفران.

و هناك أناس لا يهمهم هذا الكلام مطلقًا، بل هم فرحون بتأخرهم قال الله -عز وجل- عن صفات المنافقين: {فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ ۗ (81)} التوبة

يعني لم يرضوا أن يتأخروا عن مواسم الطاعات فقط، ولا أنهم لم يستعدوا لمواسم الطاعات، بل هم فرحون بتأخرهم، هذه الفرحة بحياتك بإنجازاتك الدنيوية دون أن تعلم متأخر ومتأخر جدًا عن الآخرة، هذا الفرح هو من صفات المنافقين.

دعونا إذًا ننظر إلى حال السلف، وكان الضحاك إذا أمسى في نهاية يوم يبكي في أول دخول الليل ويقول: لا أعرف ماذا رفع اليوم من عملي.

فهو يحمل هم اليوم، هم العمل الذي ارتفع، يعني أنا اليوم عملت هذا الكم من العمل، والآن غابت الشمس ووقفت الصحيفة، والملائكة التي تتعاقب فينا بالمغرب وبالفجر أمسكت صحائف النهار الآن وطارت فيها، هذه الصحيفة التي طاروا فيها لليوم، الرابع من شعبان مثلًا، لن تعود، فمهما عملت أنت تعمل للمستقبل، لكن صحيفة اليوم الرابع من شعبان لن تعود فهي أُغلقت ورُفِعَت، الآن لدينا فرصة حتى الليل، وعمل الليل إلى أن تصعد ملائكة الفجر فتصعد بها، لاحظوا أن اليوم منقسم إلى نصفين، عمل الصباح يُرفَع في وقت العصر، وعمل الليل يُرفَع في وقت الفجر.

وقد كان السلف يحملون هم رفع الأعمال لأن في رفعها نوع من الندم، هل فعلت شيء جيد اليوم؟ صمت صليت ذكرت الله كثيرًا؟ كان لدي ساعتين لم أفعل بهما شيئًا فضاعت، كنت أغلي الماء على النار ولم أستغل هذا الوقت، فالساعة نستطيع أن نكسب فيها جبال من الحسنات، وتخيلوا عندما يقضي الإنسان عمره بهذه الطريقة،ولذلك كان إبراهيم -عليه السلام- كثيرًا ما يعمل العمل ويخاف ألا يُقبل، وكان من دعائه، قال الله

تعالى: { ... رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا ۖ إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} (البقرة:١٢٧). أبو مليكة يقول: أدركت ثلاثين من الصحابة كانوا جميعهم يخشون على أنفسهم من النِفاق، فيعملون الأعمال الصالحات ومع ذلك لم يكونوا يرونها شيئًا.

فإذا أردت أن تعرف منزلتك عند الله، أنا فلان الفلاني أريد أن أعرف ما هي منزلتي عند الله -عز وجل-؟ ما هو مقامي عنده؟ لدي فضول وأريد أن أعرف ما هو صيتي عند الله -عز وجل-؟ ما هو صيتي في السماء؟ هل عملت شيء يؤبه له أصلًا؟

إذا أردت أن تعرف منزلتك عند الله فانظر إلى منزلة الله في قلبك

وانظر ما هو الشيء الذي يقترب من قلبك، أنت مشغول بماذا طوال الأربع وعشرين ساعة؟ هذه منزلة الله في قلبك! فما هو شغلك الشاغل؟ هو عمل للآخرة؟ هو احتسابك لنياتك في الآخرة؟ أم هو عمل دنيا؟ مشغول ما بين دوام وما بين دنيا، استهلاك مادي بحت، فهل هذا فقط هو ما يشغلك؟ أم أنك مشغول أيضًا بنوع من الاحتساب لله -عز وجل-؟ منزلتك عند الله -عز وجل- بمنزلة خطواتك التي تخطوها، ولذلك نحن لن نُفاجأ يوم القيامة بشيء، هو عملنا الذي عملناه في الدنيا، قيامنا في الليل صيامنا في النهار، المنكرات والذنوب التي نتركها، توبتنا إلى الله وإنابتنا إليه سنجدها أمامنا تمامًا يوم القيامة.

قال النبي عليه الصلاة والسلام: " ...تُرْفَعُ فِيهِ الْأَعْمَالُ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ..." [أخرجه النسائي في سننه ، وقال الألباني: حسن]

يأتينا السؤال:

لماذا تُرفع الأعمال إلى الله؟

وهذا سؤال مهم يجب أن نجيب عليه ودائمًا نحاول بين فترة وأخرى أن نجد هذه الإجابات، ما الفكرة في أن تُرفع الأعمال إلى الله؟ ماذا نستفيد ؟ هل هو كشف حساب فقط؟ هل هي أعمالنا تُحصى علينا فتُرفع ويُعاقب بها الإنسان أو يُجازى عليها؟

العلماء رحمهم الله وقفوا كثيرًا عند رفع الأعمال إلى الله، وقالوا ما هي الفائدة من رفع الأعمال سنويًا؟ الله يعلم كل الأعمال، الله يعلم ما نُخفي وما نُعلن وما فعلنا وما لم نفعل، فالله يعرف خواطرنا ويعرف ماذا سيكون، إذًا لماذا كل هذا الإحصاء ورفع الأعمال والصحائف التي تُرفع إلى الله -عز وجل-؟

قال العلماء أول حكمة – مما تلمسه العلماء، وما خفي عنا أكثر - من حكم رفع الأعمال:

1- أن هذه الأعمال تشفع لصاحبها إذا رُفعت إلى الله، فأي عمل صالح تفعله في الدنيا يُكتَب في صحيفتك، فإذا رُفع إلى الله - عز وجل - فهذا العمل يشفع لصاحبه في الدنيا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ مِمَّا تَذْكُرُونَ مِنْ جَلَالِ اللَّهِ التَّسْبِيحَ، وَالتَّهْلِيلَ، وَالتَّحْمِيدَ يَنْعَطِفْنَ حَوْلَ الْعَرْشِ، لَهُنَّ دَوِيٌّ كَدَوِيِّ النَّحْلِ، تُذَكِّرُ بِصَاحِبِهَا، أَمَا يُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَوْ لَا يَزَالَ لَهُ مَنْ يُذَكِّرُ بِهِ؟»[خرجه ابن ماجه في سننه ، وقال الألباني: صحيح].

التسبيح والتحميد والتهليل وغيرها من ذكر الله – عز وجل- هو يُرفع إلى الله - عز وجل - ولهن دويٌّ ينعطفن حول العرش، ينعطفن يعني كأنهم يطوفون حول العرش ولهن دويّ! أنت تقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، اللهم لا حول ولاقوة لي إلا بك يا حي يا قيوم،

أنتَ تذكر الله وهذا الذكر يصعد إلى السماء وينعطفن حول العرش، كأنهن يدورون حول العرش لهن دويٌّ كدويّ النحل يذكّرن بصاحبها، فأنت مثلًا جالس في بيتك وإذا أنتَ تُكثر من الحوقلة تقول: اللهم لا حول ولا قوة لي إلا بك، بلسانك بطرف لسانك هذا الدعاء والحوقلة هي كنز من الكنوز تحت العرش، الآن أنتَ بهذا الشيء الذي تفعله هناك شيء يرتفع ويُذكر بك،

الآن لو كان هناك شخص لا تحبه، مثلًا أنا لا أحب فلانة ولكن أعرف أنها تحبني! وكلما جاء أحد قال لي والله اليوم فلانة ذكرتك والله اليوم فلانة تحكي عنكِ وتدعو لك! تتخيلون لو يوم من الأيام جاءت فلانة وسألتني في حاجة أو طلبت مني طلب، هل تتوقعون أن تكون معاملتي لها كمعاملتي لأي شخص آخر لا أعرفه؟ لا طبعًا! لأن هذه الإنسانة بيني وبينها حبل، ومن سوء الأخلاق ألا نُعامل الإنسان الذي يحبنا بهذا النوع من العطاء، هذا ونحن بشر ونحن أذلاء ونحن ضُعفاء ونحن بُخلاء

فكيف بالله الجليل الكريم العظيم الجبار الذي يُعطي بخزائن مفتوحة ليل نهار؟ !

إذًا عندما نقول هذا الذكر ليل نهار سواء بالتحميد والتسبيح و ينعطف هذا الذكر عند الله -عز وجل- لا نتخيل أن الله - عز وجل- سينسانا في لحظة ضيق أو في لحظة كرب نمر بها، يقول النبي عليه الصلاة والسلام أيضًا في هذا الحديث الأعمال التي تشفع لصاحبها " إِنَّ سُورَةً فِي الْقُرْآنِ ثَلَاثُونَ آيَةً شفعت لصاحبها حتى أدخلته الجنة " [أخرجه ابن ماجه في سننه، وقال الألباني: صحيح]

ماذا كان يفعل صاحبها؟ كان يقرأها فقط في الدنيا .سورة تبارك، ولذلك تُسمى الشافعة وتُسمى المُنجية وإلى آخره، فلاحظوا الآن الأعمال التي نقوم بها لا تظنون أنها مجرد حسنات تُكتب في صحائف وزن الحسنات، لا بل هذه الأعمال تتمثل على أشياء حقيقية تشفع لصاحبها فأما الذكر فله دويٌّ كدويّ النحل، وهذه السورة ثلاثون آية فكيف بالذي حفظ سورة البقرة وآل عمران، هذا شيء أخر،

ويقول النبي عليه الصلاة والسلام عن آية الكرسي: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ لَهَا لِسَانًا وَشَفَتَيْنِ، وَتُقَدِّسُ الْمَلِكَ عِنْدَ سَاقِ الْعَرْشِ".[رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ]

فآية الكرسي التي نقرأها مع أذكار بعد الصلاة لأننا نعرف أن من قالها بعد الصلاة لا يحول بينه وبين الجنة إلا الموت، هي لماذا آية الكرسي مع أذكار الصلاة؟ لأن لها حديث خاص أن من قالها لا يحول بينه وبين الجنة إلا أن يموت، فلذلك من التفريط أن تقوم من مُصلاك دون أن تقول أذكارك ولا آية الكرسي، هذه آية الكرسي أيضًا لها لسان و شفتين تُذكّر بِصاحبها.

إذًا هذه الآن الحكمة الأولى التي تلمّسها العلماء، أن الأعمال عندما تُرفع تشفع لأصحابها.

٢- الحكمة الثانية هي أن الله -عز وجل- يُباهي بعملك في الملأ الأعلى، فمن أين أخذوا هذه الحكمة؟

من قول النبي عليه الصلاة والسلام: "رَجُلٌ مِنْ أُمَّتِي يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ يُعَالِجُ نَفْسَهُ إِلَى الطَّهُورِ وَعَلَيْكُمْ عُقَدٌ فَإِذَا وَضَّأَ يَدَيْهِ انحلَّت عُقْدَةٌ فَإِذَا وضَّأ وَجْهَهُ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ وَإِذَا مَسَحَ رَأْسَهُ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ وَإِذَا..."[أخرجه ابن حبان في صحيحه ،وقال الألباني: حسن]-لاحظوا التفصيل- إذا وضأ يديه انحلّت عقدة وإذا وضأ وجهه انحلّت عقدة، يعني عندما قام من النوم لم يكُن به نشاط فتوضأ وعينه مغلقة من النوم لأن العقد معقدة عليه، الشيطان عقد عليه عقد كي يثقل عليه النوم، فعندما يحمل الإنسان نفسه تبدأ هذه العقد تنفك، يفصل تفصيل الحديث لأن الله ينظر إلى هذه التفاصيل فيقول:

"...وضَّأ رِجْلَيْهِ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ فَيَقُولُ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا لِلَّذِي وَرَاءَ الْحِجَابِ: انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي هَذَا يُعَالِجُ نَفْسَهُ لَيَسْأَلَنِي مَا سَأَلَنِي عَبْدِي هَذَا فَهُوَ لَهُ مَا سألني عبدي هذا فهو له" [أخرجه ابن حبان في صحيحه ،وقال الألباني: حسن]

يُباهي به الملأ الأعلى، كل الملائكة الموجودين، انظروا إلى عبدي هذا يُعالج نفسه من أجلي يسألني، ما سألني عبدي فهو له، إذًا الله يُباهي بك في اللحظات التي أنت تُجاهد بها نفسك.

يقول النبي عليه الصلاة والسلام: " مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً وَاحِدَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرَ صَلَوَاتٍ" [أخرجه النسائي في صحيحه ، وقال الألباني: صحيح]

والصلاة من الله على العبد بمعنى الثناء والرحمة أي أن الله -عز وجل- يُثني على هذا العبد ويُباهي به، إذًا لا يمكن أن يمر بنا موقف نجاهد فيه أنفسنا دون أن يلحظه أحد، الله -عز وجل- سيكتب لك،

لذلك عندما تسأل ما هي الأعمال التي تُرفع إلى الله -عز وجل- فهو يرفع جبال الحسنات التي عملتها، صبرك، عملك الصالح، صيامك، صدقاتك، عندما قلتَ لا للحظة منكر، كلها يرفعها الله -عز وجل- وتُرفع أيضًا كل ذنوب الخلوات كل

المعاصي التي فعلها الإنسان سواء كانت في خلوات أو كان هُناك من يُعينك على الشر فأعانك ففعلت ذلك الشر، يُرفع الخير ويُرفع الشر وستُرفع لحظات الفرح التي ذكرنا الله -عز وجل- فيها وحمدناه وستُرفع لحظات المنع حينما منع الله -عز وجل- علينا ما نُحب وما نُريد، وأخّر علينا إجابة دُعاء كُنا ملحين فيه.

صبرًنا ورضانا وكل أعمالنا تُرفع إلى الله -عز وجل-، الله -عز وجل- يباهي بهذا العبد عند الملائكة ويباهي به في الملأ الأعلى رضاً بما يصنع،

فلو خرجت إحداهن وقد ارتدت الحجاب لأول مرة، وفي داخلها رفض وهي لا تريده ولكنها تريد أن تخطو خطوة نحو الله – عز وجل- ولا تريد أن تموت على هذه الحال، فهي تريد هذا القرار ولكنه صعب عليها، فعندما يرى الله -عز وجل- هذا الجهاد وهي ترتدي الحجاب وقلبها مقبوض وتشعر بالكتمة، وهذا كله من فعل الشيطان، فالله -عز وجل- لا يضيع جهادها بل يكتبه عنده ويباهي به الملائكة، عبدي يعالج نفسه من أجلي،

فأحيانًا العبادات قد تكون صعبة على العبد، كأن تصوم وأنت في دوام، أو تصلي الليل رغم أن نومك صعب وتجاهد كي تنام وإذا استيقظت لا تعود للنوم، ولكن عندما يعالج المرء نفسه، يكون له مكانة عند الله – عز وجل- ويباهي به الملائكة، انظروا إلى هذا الأجر في المباهاة في حضور هذه المجالس حينما قال النبي عليه الصلاة والسلام " إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادَوْا: هَلُمُّوا إِلَى حَاجَتِكُمْ " قَالَ: «فَيَحُفُّونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا» قَالَ: " فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ،وَهُوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ،مَايَقُولُ عِبَادِي؟قَالُوا: يَقُولُونَ: يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيُمَجِّدُونَكَ " قَالَ: " فَيَقُولُ: هَلْ رَأَوْنِي؟ " قَالَ: " فَيَقُولُونَ: لَا وَاللَّهِ مَا رَأَوْكَ؟ " قَالَ: " فَيَقُولُ: وَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي؟ " قَالَ: " يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً، وَأَشَدَّ لَكَ تَمْجِيدًا وَتَحْمِيدًا، وَأَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحًا " قَالَ: " يَقُولُ: فَمَا يَسْأَلُونِي؟ " قَالَ: «يَسْأَلُونَكَ الجَنَّةَ» قَالَ: " يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ " قَالَ: " يَقُولُونَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا " قَالَ: " يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا؟ " قَالَ: " يَقُولُونَ: لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا، وَأَشَدَّ لَهَا طَلَبًا، وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً، قَالَ: فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ؟ " قَالَ: " يَقُولُونَ: مِنَ النَّارِ " قَالَ: " يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ " قَالَ: " يَقُولُونَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا " قَالَ: " يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟ " قَالَ: " يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَارًا، وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً " قَالَ: " فَيَقُولُ: فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ " قَالَ: " يَقُولُ مَلَكٌ مِنَ المَلَائِكَةِ: فِيهِمْ فُلَانٌ لَيْسَ مِنْهُمْ، إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ. قَالَ: هُمُ الجُلَسَاءُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ " [أخرجه البخاري، صحيح]

هذا المجلس الذي نسأل الله -عز وجل- ألا يحرمنا أجره ونسأل الله في هذا المجلس جنات النعيم ونستعيذ به من النار، الآن بهذا فقط يباهي الله -عز وجل- الملائكة إن صلحت النوايا وتقبلها الله منا وكان هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم فإن الملائكة تحفنا وتأتي تحف بعضها البعض إلى السماء ومعها قائمة بأسماء الذين حضروا المجلس، والله -عز وجل- يباهي بهم فيقول أشهدكم أني قد غفرت لهم هم القوم لا يشقى بهم جليسهم، وهذه هي الحكمة الثانية.

٣- الحكمة الثالثة هي إعلان أعمال العباد لدى حملة العرش ومن حوله من الملأ الأعلى.

ولماذا من المهم أن تعرف الملائكة؟ لأن الملائكة في السماء غير الملائكة الموجودين في الأرض فهم لا يعرفون ماذا يحدث في الأرض، وهناك دعوات خاصة يدعونها للمؤمنين الصالحين، قال الله -عز وجل- في سورة غافر: (الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ).(غافر:٧). وقال تعالى:(وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ ۚ وَمَن تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)(غافر:٩). نلاحظ هذا الدعوات كلها أن يا رب ارحمهم واغفر لهم وقِهم السيئات يعني أعِذهم حتى من السيئات، تدعو بها حملة العرش وهم أقرب الناس وهم في المنازل العليا يدعون لأصحاب الأعمال الصالحة التي تُرفع وأيضا من الحِكَم التي فيها رفع الأعمال أنه تُرفع الأعمال لتُسَجَّل في الدواوين العليا.

حَدَّثَنِي رَبِيعَةُ بْنُ كَعْبٍ الْأَسْلَمِيُّ، قَالَ: كُنْتُ أَبِيتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَتَيْتُهُ بِوَضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ فَقَالَ لِي: «سَلْ» فَقُلْتُ: أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ. قَالَ: «أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ» قُلْتُ: هُوَ ذَاكَ. قَالَ: «فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ»[أخرجه مسلم، صحيح]

أخذ العلماء قاعدة من هذا الحديث وهي أن الإنسان كلما سجد علا ، إذًا من الفوائد أن تُكتب أعمالك في الدواوين العليا، قال تعالى:(كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ (١٨) وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ (١٩) كِتَابٌ مَّرْقُومٌ (٢٠))(المطففين:١٨-٢٠). فكلما استعلوا عن شهوات الدنيا و استعلوا عن مطالب الدنيا كلما رفع الله - عز وجل - دواوينهم، هذا ديوانهم فكيف بمنازلهم؟ هذه صحائف أعمالهم كُتِبَت في كتاب عليين فكيف ستكون منازلهم في أعلى عليين في جنات النعيم؟

ولذلك قال الله -عز وجل-:(كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب)(العلق:١٩).كلما سجدت بالعمل الصالح كلما اقتربت من الله -عز وجل-، والعكس بالعكس كلما جلست في شهواتك وكلما كنت محسورًا في ذنوبك كلما كانت أعمالك تكتب في سجين، (كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ).(المطففين:٧)، لاحظوا الكلمة المكان الضيق في أسفل سافلين كما أنهم دنت بهم ذنوبهم وسيئاتهم ولذلك هذا المسجون بشهواته سُجِن بأعماله في كتاب في سجين.

ذكرنا الآن ثلاثة حِكم ويوجد غيرها الكثير ولكن نكتفي بهذا القدر،

إذًا أنا وأنت، كيف نريد أن تُرفع أعمالنا إلى الله – عز وجل -؟ هذا الشيء مهم وهو الأهم.

الصوم

النبي - عليه الصلاة والسلام -اختار لنفسه قال "فَأُحِبُّ أَنْ يُرْفَعَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ" [أخرجه النسائي في سننه، وقال الألباني: حسن.]، ولماذا الصيام؟ لأنه عمل مستغرق لوقت طويل، كأنك تعمل طوال اليوم، فالصلاة تنتهي في ربع ساعة والتسبيح ينتهي وقراءة القرآن فكل الأعمال الصالحة لها بداية ونهاية، أما الصيام فيأخذ معك أكثر من ١٢ ساعة مستمرة، هل يستطيع أحد أن يقوم الليل ١٢ ساعة مستمرة؟ من يقدر أن يكون في عبادة مستمرة؟ هي في صيام النهار،

هذا الاستمرار اختاره النبي -عليه الصلاة السلام -، وقال العلماء فيه دليل على أن الرفع يكون في النهار لأنه قال أحب أن يُرفع عملي وأنا صائم، فهذا استشفوا منه دليل أن الأعمال ترفع بالنهار، إذًا نهار شعبان مهم أن نعمره بالخير، فلمَ لا نكون من الناس التي تكثر من الصيام؟ ونلاحظ عندما جاء الصيام، عائشة رضى الله عنها تقول "...فَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْتَكْمَلَ صِيَامَ شَهْرٍ إِلَّا رَمَضَانَ، وَمَا رَأَيْتُهُ أَكْثَرَ صِيَامًا مِنْهُ فِي شَعْبَانَ" [أخرجه البخاري، صحيح].

قال الامام ابن حجر-رحمه الله- والحديث دليل على فضل الصوم في شعبان، قال الإمام الصنعاني وفيه دليل يخص شعبان بالصوم أكثر من غيره،

إذًا كل هذه الأدلة تتظافر على أن شعبان هو فرصة ذهبية لهذه العبادة المخصوصة بالذات وهي الصيام، وكما قلنا في البداية نحن نتكلم عن سُنَّة قبلية لفرض والفرض في رمضان هو الصيام، فالآن طبعًا يجوز الصيام فيما بعد المنتصف لكن النبي - عليه الصلاة والسلام - كانت تقول عائشة كان يصوم شعبان إلا قليلاً لا يتم الشهر كله،

يعني لا نشبهه في رمضان فلا نصوم الشهر كله، لكن نصوم أغلبه، بحسب قدرتنا وحسب ما يناسبنا، وكل إنسان وطاقته، وهو سباق نتسابق فيه إلى الله -عز وجل-، وعندما نتحدث عن الصيام تذكروا كل الأحاديث التي كنا نأخذها في فضل الصيام بأن صيام اليوم الواحد يباعد وجهك عن النار سبعين خريفًا، يعني الناس الذين صاموا أربعة أيام نضرب ٤ في ٧٠ نتكلم عن ٢٨٠ سنة، ونحن فقط في أول أربعة أيام، فعندما نتكلم عن أربعة أيام فقط ٢٨٠، إذًا كيف بالذي سيكمل الصيام حتى اليوم العشرين،

ولا تظنوا أن هذه أعمال وتنتهي فقط بل هي نور، هي أنوار تنير قلوبنا وتنعشها، فنحن الآن في مرحلة التحلية وإعادة النبض للقلب، ولذلك الأربعة أيام تُحدث فرقًا كبيرًا، والأسبوع يُحدِث فرقًا فالإنسان يرى نفسه إيمانه ورغباته في الخير والصلاة، وخفته في عمل الخير، فكلما زاد من هذه الأعمال زاد القلب اشتياقًا لرمضان.

التقوى

وهذا فضل الصوم، وأبواب الخير ليس لها حد فهناك أعمال أخرى يمكن القيام بها، فالصوم فيه تقوى،

قال تعالى:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)(البقرة:١٨٣).
فاتّقِ الله في كل لحظة من لحظاتك وأرِ الله -عز وجل- منك أنك تتقيه في كل لحظة، في سكناتك وفي حركاتك، فيما تكتبه يدك وفيما تنظر له عيناك،

فنحن نحرص في هذا الشهر على التطهير وإنعاش القلب ونحرص على ألا نجرح إيماننا بالمعاصي كي ندخل رمضان وقلبنا فرِح مستبشر بنعمة الله – عز وجل-، هذا القلب مريض الآن، وأمراض القلب مثل أمراض الدنيا بالضبط، هناك أمراض تذهب بمضاد حيوي وهناك أمراض يكفي ليمون دافئ وعسل وتذهب،وهناك أمراض مثل الربو والحساسية تحتاج متابعتها طوال الوقت والحرص والانتباه لأن هناك ضعف تجاهها كأن يعرف الإنسان أنه لا يتحمل موجة الغبار مثلًا،

وأمراض القلوب نفسها تمامًا، هناك أعمال في أمراض القلوب قد يتوب المرء عن الذنب توبة نصوح وتنتهي، وهناك أمراض تحتاج متابعة لأن الإنسان يعرف نفسه وأن هذه نقطة ضعف بالنسبة له فيحذر منها ويتجنبها، فإن كان الإنسان يَضعُف عند مجموعة من الناس فعليه أن يتجنبهم كي يحافظ على حياة قلبه، ولذلك هذه أمراض القلوب مهم أن نعرفها كي نحافظ على صحة قلوبنا،

النبي -عليه الصلاة والسلام- يحب أن يُرفع عمله وهو صائم فنستن به، ويرفع عملنا إذا استطعنا ونحن نتقي الله في كل شيء، أي قرار من اليوم وحتى ينتهي رمضان، أي قرار لا يحبه الله -عز وجل – أي أمر أو منعطف حياتي يمر بنا لا يرضاه الله -عزوجل- يجب ألا نفعله، أجّل كل الذنوب والسيئات، أجلها وفي خلال هذه الأيام اسأل الله أن يتوب عليك منها، ولا تدري قد تكون هدية رمضان أن الله-عزوجل – ينزعها من قلبك، أنتَ تؤجلها لكن لاتعلم قد يرضى الله -عزوجل- عن عباداتك، وعن تلمسك للطريق في نزع حب هذه الذنوب من قلبك، فلا تجد قلبك يهتز لها.

التوبة

قد ترفع الأعمال وأنت تائب إلى الله - عز وجل – من ذنوب كثيرة كنتَ تجاهر فيها وتتجرأ عليه بها، والكلام سهل كلنا نستطيع أن نتحدث عن التوبة، فنحن نتحدث عن التوبة طوال الوقت ونقول هذه مراتبها وهذه منازلها وأن الله يحب التوابين،

لكن من الذي يطيقها؟ ومن الذي يستطيع أن ينزع المنكر من حياته؟ من الذي يستطيع أن يتوب توبة نصوح من شيء هو مدمن عليه؟ أو شيء كل الناس تفعله وصار أمر عادي بل ومن غير العادي أن لاتفعله؟ من الذي يقدر أن يتوب الآن من هذا الذنب ويقول يا جماعة إني أخاف الله وأريد أن أسترضي الله ولن أفعل هذا الذنب؟

هنا نحتاج أن نستعين بالله، وأن نتمسكن عند بابه فنقول يارب سمعت كل هذه الدروس عن التوبة فلم أتُب، وسمعت كل الدروس عن التخلية فلم يرجف لها قلبي ولم يرجف لها جفني، وحاولت أن أترك هذا الذنب وأعلم أنه خطأ وأنه قد يترتب عليه لعن وطرد من رحمة الله ومع ذلك لا أستطيع يا رب أن أتركه، وهكذا نتمسكن إلى الله بضعفنا كي يتوب علينا، فإن لم نقدر على التوبة نسأل الله – عز وجل- أن يتوب علينا، وأن يزين لنا التوبة وأن يحببها إلينا، اسأل الله -عز وجل- بسؤال صادق ويقين أني يارب لا أستطيع أن أغير من حياتي، وأحب الصالحين ولست منهم، وأكره من بضاعته المعاصي ولو كنا سويًا في البضاعة، لكن أعجز عن التوبة،

تمسكن إلى الله بهذه الحالة القلبية وقُل يارب تب علي و وفقني إلى ما تحب وترضى ويارب أعني على طاعتك ورضاك، يارب أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، يارب باعد بيني وبين الذنوب والخطايا كما باعدت بين المشرق والمغرب، لا أريد أن أراها فإن رأيتها سأضعف ولن أستطيع أن أتركها، يا رب باعد بيني وبينها كما باعدت بين المشرق والمغرب، يا رب نقني من الذنوب والخطايا التي هي الخلايا السرطانية من ذنوب داخل قلبي، فيا رب نقني من الذنوب والخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس،

تمسكن إلى الله فلا تخرج من شعبان وأنت لا زالت تلك النقاط السوداء موجودة في حياتك، لن يستطيع الإنسان أن يتحرك و لن يستطيع أن يرى الفتوحات الربانية والمواعظ والنفحات لا تثمر على قلب مستغبر ولا على قلب ملطخ، فنحاول أن ننظف هذا القلب ونعيد له حياته.

يقول الحسن إن الرجل ليذنب الذنب فلا ينساه ولا يزال خائفًا منه حتى يُدخله الجنة، بعض الناس تقول أنا أطوي هذه الصفحة وأنساها لا أريد أن أتذكرها، ولكن أحيانًا قد يكون من الجميل أن تتذكرها لأنك كلما تذكرتها كلما أحدث هذا عندك نوع من الحياء و نوع من الندم أنه يا رب كيف كنت صابر علي يا رب كيف تصبر علي وأنا أجاهرك بالذنب ليل نهار؟ فهذا الشعور بالحياء وهذا الشعور بأنه يا رب أنا تبت ولكن أشعر أنه لا يوجد شيء يغفر لي الذي فعلته، هذا الشعور بالندم و بالتوبة الصادقة يجعل لهذا العبد مكان عند الله -عز وجل -.

قال أحمد بن عاصم : هذه غنيمة باردة أصلح ما بقي من عمرك يغفر لك ما مضى، لو باقي في عمرك يوم واحد أصلحته فقط،٢٤ ساعة فقط هذه ال٢٤ ساعة لو أصلحتها وتبت إلى الله فيها وقد تكون لم تعمل أي عمل صالح بعد فقط تبت ونويت فيها خير، ثم يكتب الله أن يكون هذا اليوم هو آخر يوم، فهذه غنيمة باردة، أصلح ما بقي من عمرك يُغفر لك ما مضى، ولذلك الذي قتل ٩٩ نفسًا ثم تاب فمات في طريقه وهو ذاهب إلى القرية التي فيها أناس صالحين ولم يعمل خيرًا قط هو فقط خرج بنية أنه يتوب فهو متجه لهؤلاء الناس يريد أن يتوب، فلما مات تنازعت فيه الملائكة وكان أن رحمه الله وأدخله الجنة.

الذِّكر

وهو من علامات القبول، يقول ابن القيم-رحمه الله- :**من علامات القبول أن العبد إذا فتح عينه من النوم أن ييسر على لسانه ذكر الله**، فأول ما تستيقظ من النوم ماذا تفعل؟ تمسك الجوال؟ أو ل ما تفتح عينيك ماذا يخطر ببالك؟ تخشى أن تتأخر؟

يوفَّق الإنسان إلى ذكر الله -عز وجل- إذا كان قلبه معلق عليها ونام عليها، فغالباً إذا نمتَ على ذكر الله -عز وجل- وقلتَ أذكار النوم، وقلبك معلق بالله وتفكر في الأعمال التي عملتها اليوم وماذا ستفعل غدًا من أعمال الخير، يوفقك الله – عز وجل - لذكره في الصباح، وطبعاً الذين يذكرون الله -عز وجل- هم أصحاب السبق في أي ميدان يعملونه،

فأفضل الصائمين أكثرهم ذكرًا، وأفضل المجاهدين أفضلهم ذكرًا، وأفضل المصلين أكثرهم ذكراً، وأفضل البارين لآبائهم وأمهاتهم أكثرهم ذكرًا، والذين يذكرون الله -عز وجل- يزين عملهم ويعظم أجورهم بما يفعلونه من ذكر، فقد يكون أهل البيت كلهم صائمون لكنهم يتفاوتون في صيامهم بقدر ما يذكرون الله -عز وجل-، فهذا صائم فقط عن الأكل والشرب، وذاك صائم عن الأكل والشرب وعن الحرام، وهذا صائم عن الأكل والشرب والحرام وفوق هذا يُكثر من ذكر الله -عز وجل-، لاحظوا المراتب.

ولذلك عندما قال الصحابة "ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالْأُجُورِ" [أخرجه مسلم، صحيح]أرشدهم النبي -عليه الصلاة والسلام- إلى ذكر الله - عز وجل - وأن من يذكر الله فإنه لا يسبقه ولا يلحقه أحد.

التحبب إلى الله -عز وجل-: أن يُرفع عملك وأنت متحبب إلى الله، متحبب غير أن تكون متقي أو تائب، متحبب أي تريد من الله أن يحبك، فتسأله وتلح عليه، وتقول يا رب إني أسألك حبك وحب من يحبك وحب كل عمل يقربني إلى حبك، وتسأل الله -عز وجل- يا رب أسألك حبك، لماذا؟ لأن الله -عز وجل- يقول في الحديث القدسي" ...كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ ..." [أخرجه البخاري، صحيح]

هذا المقام العالي للعبد الذي أحب ربه، فهذا الحب يجعلك في مكان تصبح أنت من أولياء الله، فقد لا يكون في رصيدك الكثير من الأعمال الصالحة، ولكنك تسأل الله أن يحبك لأنه إذا أحبك منع عنك كل الشر وزين لك الخير وسهله ويسره لك وشرح صدرك له، فأنت تسأل الله -عز وجل- أن يحبك وأن يحببك فيه وفي كل شيء يقربك إلى حبه، قال الله -عز وجل:(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا)(مريم:٩٦). وقال عز وجل:(... يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ..)(المائدة:٥٤). هذه صفات المؤمنين، لا يعملون العبادات فرضًا فقط، ولا يفعلون العبادات كتوقيع أنهم فعلوها، يفعلونها حباً وشوقاً، وتعظيماً، ورجاءً وحسن ظن بالله -عز وجل-، فأنتَ تريد هذه المرتبة أن

يكون بينك وبين الله -عز وجل- تلك العلاقة وأن يجعلك الله فيمن يحبهم، فتَبتل إلى الله في كل يوم يُرفع فيه عملك إليه أن يا ربِّ أسألك حبك وحب من يحبك وحب كل عمل يقربني إلى حبك.

السجود

الحالة الأخيرة التي نتواصى بها هي أن يرفع عملك وأنت ساجد، ففي كل لحظة يكتب فيها صلاة وفيها سنة كُن أنتَ أول من يصليها،

صلاة ضحى؟ كُن من الناس التي تصليها، سواء كنت في دوام، في بيتك، صلِّ الضحى، تصلي ركعتين؟ اجعلها أربع، أربع؟ اجعلها ست، بقدر استطاعتك ولكن صلِّها ولا تفرط فيها، والسنن الرواتب صلِّها كلها، وأربع قبل الظهر وأربع قبل العصر، احرص على كل السنن الإضافية التي جاءت فيها أحاديث مخصوصة، ولذلك فتِّش في الدرر السنية مثلًا ممكن أن تكتب:(رحم الله امرئ) وتبحث عن الأحاديث التي تأتي بهذه المقدمة، هذه الأحاديث تسمى بالفيوض الرحمانية، وهذه تصلح درس لوحدها، الفيوض الرحمانية أي أنها تستدر رحمة الله -عز وجل-، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «رَحِمَ اللَّهُ امْرَأً صَلَّى قَبْلَ العَصْرِ أَرْبَعًا» [أخرجه الترمذي في سننه،وقال الألباني:حسن]

فتِّش عن الأشياء التي تستدر رحمةالله -عزوجل- وابحث عن الأعمال التي يرحم الله أصحابها والتي منها قال تعالى:(وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ). (الأعراف:٢٠٤). فهذه من مواطن الرحمة التي يستدر بها رحمة الله -عزوجل-، ولذلك كل لحظة سواء من نهار أو من ليل يجب أن يكون لك فيها نصيب من الطاعة ؛ كنتَ تصلي ثلاث ركعات في الليل اجعلها خمسها، سبعة، إحدى عشرة، بالقدر الذي تستطيعه، لكن يجب أن يكون لك نصيب من الليل.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: أَوْصَانِي خَلِيلِي بِثَلَاثٍ لَا أَدَعُهُنَّ حَتَّى أَمُوتَ: «... وَنَوْمٍ عَلَى وِتْرٍ»[أخرجه البخاري، صحيح]

فلما أوصاه النبي -عليه الصلاة والسلام- سواءً بصيام ثلاث أيام من كل شهر، أو بالوتر، هذه الوصايا كان يمسكها أبو هريرة وكان لا يفلتها في يومه.

إذًا هذه الأعمال هي مجرد تواصي بالحالة التي يجب أن يُرفع بها عملك،

فهل تكون أنت من الصائمين؟ أو التائبين؟ أو الساجدين؟ أو من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات؟ أو من أولئك الذين يتحببون إلى الله -عز وجل- ويتمسكون له؟

هذه كلها كانت فقط الطائفة الأولى لحزمة الأعمال التي نتواصى بها في شهر شعبان وأسأل الله أن يجعل أعمالنا متقبّلة عنده غير مردودة، وأن يجعل خير أعمالنا خواتيمها، وخير أيامنا يوم نلقاه هذا والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

تنويه: مادة المحاضرة جمعت من مصادر عدة وجميع المحاضرات في المدونة ليست كتابة حرفية لما ورد في المحاضرة؛ إنما تمت إعادة صياغتها لتُناسب القرّاء وبما لا يُخلُّ بروح المحاضرة ومعانيها

.